قصيدتان للشاعر لوركا

ترجمة كاظم جواد

ثمة تضاد ، يضطرم في شعر لوركا المتوتر النابض ، من الصعب تحديده باسلوب معين عند القراءة الخاطفة الاولى . وثمة غنى زاخر بالحركة المتوهجة ، والالوان الصارخة ، والصور اللاواقعية المكتسبة من الواقع ، يتصل بصميم الحياة التي يحياها بكل اكتئاب وفرح وتفجر .. حياة لامنطقية وليست معقولة ، تخالف كل ما هو طبيعي وعقلي : ان صناع الحياة يتجرعون غصص الموت .

ان حشداً من الصور اللاواقعية ، التي تفقد الكلمة فيها دلالتها المباشرة في الخارج ، تكون في التحليل الاخير ، ادب لوركا . ومع ذلك فما من صورة من صوره المفزعة والمدهشة ، الصارخة المحتضرة ، المتوترة المطمئنة ، الا ولها اتصال ولو عبر خيط خفيف بصور الحياة الاسبانية المفجعة .

ان هذا المهرّب المتخن بالجراح العميقة الذي ترغمه مهنته على ارتياد ممرات الجبال الوعيرة في قصيدته « الاغنية السارية في النوم » (*Sleepwalker ballad*) يتمنى لو انتهى به المطاف الى كوخ متواضع يسكنه ، والى مزرعة صحة ينفق فيها بقية العمر ، والى حصير ولو من حديد صلد يموت عليه ، ساعة المنية ، باطمئنان وحرمة . غير انه سيظل ذلك الطريد ، حاملا جراح جسده المكدود الحزين حتى النهاية .

لم يكن لوركا شاعراً فقط ، بل كان عازفاً ومؤلفاً موسيقياً ، ورساماً ، ومن هذه الهبة الاخيرة افاد في تلوين اشعاره بصبغة خاصة لكل قصيدة [1] ، ان جاز ان تكون للقصائد نغمة (لونية) . على ان ذلك لم يتم اعتباطاً ، لان لوركا يشعر ان لكل لون تأثيره الخاص . فلكل قصيدة اذن لونها السائد ، حسب ما يوحي به جوها التأثيري العام .

في قصيدته « الاغنية السارية في النوم » عذراء خضراء البشرة ، خضراء الشعر ، وخيول ترتعي الكلأ الاخضر في التلال . ونحن نرى ان اللون الاخضر يتكرر في كل لازمة ، حيث يسود جو القصيدة في نهاية الامر .

وفي قصيدته « موت انطونيو كامبوريو » حيث الدم والموت ، نجد ان اللون الغالب هو الاحمر . وفي قصيدته « اغنية الحرس المدني الاسباني » نرى الى اللون الاسود يسود منذ البدء حتى النهاية ، حين يختفي المغيرون في سرداب من الصمت .

ولا تخلو اغلب قصائد ديوانه (الرومانسيرو جيتان) من ذكر ولو عابر للحرس الاهلي . وفي كل قصيدة يظهر فيها هذا الحرس ، تتحول الى ساحة للصراع بين العاطفة المرحة الشذية ، والخيال اللاهب والحياة البسيطة ، وبين القوة العديمة الاحساس اللاطبيعية .

ان شخصيات لوركا هي دائماً منبوذة ، وملقاة خارج النظام الاجتماعي القائم ، وهي في الوقت ذاته مطاردة من قبل الجور والطغيان ، الذي يمثله التمثيل كله ، الحرس الاهلي ، هذه القوة العمياء المخربة التي لعبت دوراً مهماً في حياة الشعب الاسباني النبيل ، سواء كان ذلك قبل الحرب الاهلية او خلالها .

وفيديريكو غارسيا لوركا حريص جداً على ان يجسد كل ما هو وحشي ولا انساني يتصف به هذا الحرس ، فليس افراده في واقع الامر الا حثالات من مرتزقة وسكيرين ، وقتلة ، اناط بهم القانون المحافظة على الامر ، فدمروا الامن ، واكتسحوا الطمأنينة .

« ايها السادة ، ايها الحرس المدني ، هذا ما يحدث دائماً - لوركا » .

●

١ ـ اغنية الحرس المدني الاسباني [2]

خيولهم سود
وسود هي احذيتهم الحديد .
فوق خوذهم تلتمع
بقع من الحبر والشمع .
هم ابداً لا يستطيعون البكاء
لان جماجمهم من رصاص .
وبنفوش من جلد ، يخطرون عبر الشارع
متكورين كالحدب
والظلام ينتشر حيثما يمرون .
وحيث يمرون
يبسطون صمت المطاط المظلم
وخوف الرمل الناعم .
ويسيرون ، اذا رغبوا في ذلك ،
مخبئين في رؤوسهم ، اقداراً غامضة ،
لأسلحة بلا اشكال .
ايه يا مدينة الغجر
من يراك ولا يتذكرك ؟
مدينة الاحزان والمسك
وابراج القرفة .
عندما يأتي الليل
حيث ما هو ليلي يأتي ليلاً
يجيء الغجر الى كورهم
ويصهرون الشموس والسهام .
ويطرق باباً بعد باب
حصان ذو جرح مميت .
وتتصايح ديكة من زجاج
صوب جيرز ديلا فرونتيرا .
القديس يوسف والعذراء
أضاءا صنوجهما
وفي مرابض الغجر جاءا يسألونهم عنها .
ولقد اتت العذراء ترتدي لباساً
كزوج محافظ القرية

---

١ *The creative experiment: by C. M. Bowra.*

٢ من كتاب *The heart of Spain*

باوراق مفضضة وقلائد من لوز .
القديس يوسف لوح بذراعيه
تحت قبعة من حرير ،
وخلفه اقبل ثلاثة سلاطين من فارس .
وكان القمر في الربع الاخير يحلم
بذهول اللقالق المحلقة .
اعلام ، ومشاعل تقتحم قمم السطوح .
وتحت نظارات زجاجية ،
كان ينشج الراقصون بلا ارداف .
ماء وظل
ظل وماء
صوب جيرز ديلا فرونتيرا .
ايه يا مدينة الفجر !
في جميع الزوايا ، اعلام
اطفئي اضواءك الخضر
فالحرس المدني قد اقبل .
ايه يا مدينة الفجر !
من يراك ولا يذكرك ؟
لقد قدموا نحو مدينة الاعياد
في صف من اثنين
فالظلال تترنح مضاعفة .
ولم تكن السماء تبدو لهم
الا شبابيك مليئة بالمهاميز
اربعون من الحرس المدني
انبثقوا بينهم كالزوبعة ،
وعلى الجدران صمتت جميع الساعات ،
والسيوف تشق الهواء
فالخيول تحبّ
وعبر الشوارع كانت ترتفع الاردية
[المشؤومة ،
وعبر الشوارع المعتمة
كانت العجائز الغجرية تفر ،
مع مهور ناعسة وحقائب مليئة بالنقود .
وفي معلف بيت لحم
إئتمر الغجر .
القديس يوسف ، مغطى بالجراح ،
يكفن عذراء صبية .
واصوات البنادق العنيدة
تصدى بحدة طول الليل .
والعذراء تبريء الاطفال
بقطرات نجمية من ريقها .
والحرس المدني يتقدم
زارعاً الحرائق
ويشوي الخيال فتياً وعارياً
وروزا بنت كامبوريو
كانت على عتبة بابها تنشج
ونهداها المقطوعان
وُضعا في طبق .
وهربت الصبيات الاخريات
تتبعهن ضفائرهن المسترسلة .
وعندما لم تعد قمم السطوح
غير اخاديد على الارض ،
هز الفجر كتفيه
عبر الصورة الجانبية الشاسعة للصخور
ايه يا مدينة الفجر !
بينما كان الحريق يطوقك
كان الحرس المدني يختفي في سرداب
[من الصمت
ايه يا مدينة الفجر !
من يراك ولا يتذكرك؟
ان يبحثوا عنك ،بجدوك ، فوق جبهتي
لعبة القمر والرمال .

٢ ـ صرخة الى روما[1]

(من برج بناية كريسلر)

وكما تجرح التفاحَ ،برقّة ،
مشارط جميلة من فضة ،
وكما تمزق الغيومَ انامل المرجان
الحاملة في اهابها نواة النار ،
اسماك من الزرنيخ ، كالكواسج ،
كواسج كدموع النحيب تعمي الجماهير
ورود مكلومة
وابر تنفذ في العروق ،
عالم الاعداء والحب ملفع بالديدان
سيندفق فوقك .

وسينهمر فوق القبة الكبيرة
حيث اللسان العسكري مطلي بالزيت
وحيث يدنس الانسان اليمامة المضيئة
ويبصق غبار الفحم
وسط آلاف الابراج .
فالآن ما من احد يعطي الخبز والنبيذ
وما من احد يزرع العشب في فم الموت
وما من احد ينشر في الارض اشرعة
[الطمأنينة .
هنا لا شيء سوى مليون حداد
يسبكون القيود لاطفال لم يولدوا بعد
هنا لا شيء غير مليون نجار
يصنعون توابيت بلا صلبان .
هنا لا شيء سوى حشود نادبين
معرّين صدورهم ، منتظرين ، الموت .
اما الانسان هذا الذي يحتقر اليمامة فسيتكلم
وسيصرخ عارياً بين الاعمدة الشاحبة
ويحقن جسمه بمصل الجذام
ويبكي الحزن لانه هكذا يخيف .
وذلك ما سيذيب قيوده
ويذيب هواتفه الماسية .
بيد ان الانسان في اردیته البيض
لا يعرف شيئاً عن اسرار الميلاد
ولا عن انين المرأة ساعة المخاض
ولا يعرف ان المسيح لم يزل يعطي الماء
ولا عن النقود الرخيصة التي تحرق
القبلة الثمينة .
وهؤلاء الاسياد المشيرون بتعبد
الى القباب الهائلة المطيبة بالبخور
ولكن لاحب هنا خلف هذه الاصنام
لا حب ابداً خلف اعين البلور الابدي
فالحب لا يوجد ، الا في الجسد
[المطعون بالظمأ
والا في الكوخ الصغير يكافح الطوفان
والحب في الخنادق حيث تصول
[الثعابين الجائعة

١ من مجلة Arena , London, 1951

غارسيا لوركا

•

في قلبه تنوّر
النار فيه تُطعم الجياع
والماء من جحيمه يفور :
طوفانه يطهر الارض من الشرور
ومقلتاه تنسجان من لظى شراع
تجمّعان من مغازل المطر
خيوطه ، ومن عيون تقدح الشرر ،
ومن ثدي الامهات ساعة الرضاع ،
ومن مُدى تسيل منها لذة الثمر ،
ومن مُدى للقابلات تقطع السرر ،
ومن مُدى الغزاة وهي تمضغ الشعاع .
شراعه الندي كالقمر
شراعه القوي كالحجر
شراعه السريع مثل لمحة البصر
شراعه الاخضر كالربيع
الاحمر الخضيب من نجيع ،
كأنه زورق طفل مزق الكتاب
يملأ ، مما فيه ، بالزوارق النهر .
كأنه شراع « كولمبس » في العباب ،
كأنه القدر !

بغداد — **بدر شاكر السياب**

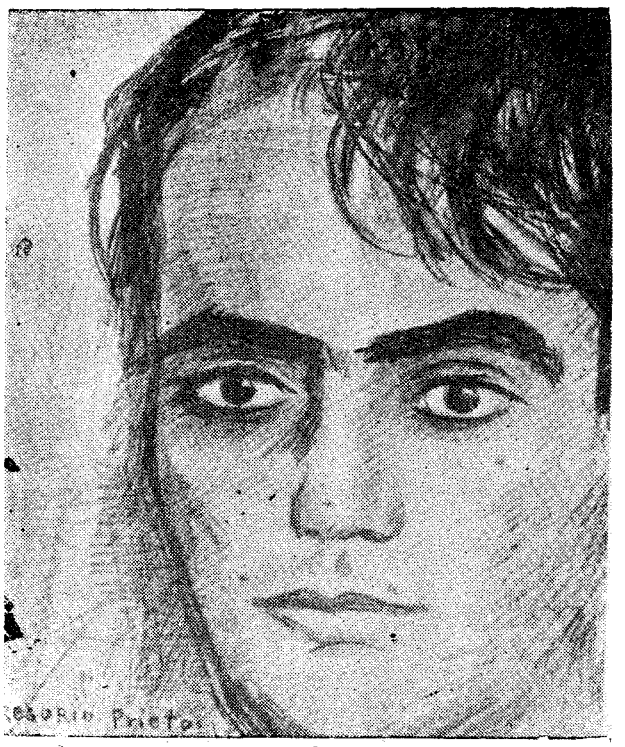

فردريك غارسيا لوركا – بريشة غريغوريو بريتو

•

وفي القبلة الصارخة فوق الوسائد .
ولكن الانسان الهرم بيدين شفافتين
سينادي : الحب ، الحب ، الحب
بين التماع العواطف المزيفة .
وسينادي : الامان ، الامان ، الامان
بين صليل السكاكين ، وكرات
[الديناميت
سيقول : الحب ، الحب ، الحب
حتى تتحول شفتاه الى فضة .
ولكن خلال ذلك ، اجل ، خلال ذلك
يقوم الزنوج بتنظيف المباصق ،
ويرتجف الصبية امام رعب المدراء الشاحب
وخلال ذلك ،
حيث تغطس النساء في الزيت المعدني
لا بد ان يصرخ عبيد الآلة ، والكمان ،
[والغيوم
لا بد ان يصرخوا حتى تتناثر جماجمهم
[على الجدران
سيصرخون امام القبة الكبيرة
سيصرخون بجنون النار
سيصرخون بجنون الثلج
فلا بد ان يصرخوا كالليل الابدي
ولا بد ان يصرخوا بأصوات متوعدة
حيث ترتعش المدن كالعذارى ،
لأننا نريد خبزنا اليومي
ونريد ازهار الحور والسنابل
ذات النضارة الخضراء الابدية ،
ولاننا نريد وفاء الارض ،
يمنح الفاكهة للجميع .

بغداد — ترجمة **كاظم جواد**